- 3 -

أنتم المسؤولون!

اجتاح الناهبون وزارة الصناعة، المؤلفة من عشرة طوابق، بعد بضع ساعات من إطاحة دبابة أمريكية بتمثال صدام أمام فندق فلسطين. أتى اللصوص على محتويات المبنى، مستغلين غياب الحراس، كما تجتمع الضواري حول الجيف. بدؤوا بسلب أجهزة الحاسوب، والهاتف، وما خف وزنه وغلا ثمنه، قبل أن يسرقوا الأثاث والخزائن، ليقوم ذوو الباع الطويل منهم بنزع التمديدات الكهربائية والمعدنية من الجدران. اتجه عراقيون إلى الوزارة، في الساعات اللاحقة، بعربات النقل، وشاحنات النفايات الحكومية الضخمة، المسروقة بدورها. أضرمت النيران في المبنى، بعد مضي يومين، لتتصاعد منه أعمدة الدخان الضخمة.

شهد تيم كارني أعمال السلب في بغداد على شاشة السي إن إن، من فيلته المطلة على الشاطئ في الكويت. لم يتمكن من تمييز وزارته، بالنظر إلى افتقاره إلى أي من صور وزارة الصناعة، أو إحداثيات موقعها الجغرافي. لم يعترِ الرجل الشك، مع ذلك، بأنها كانت ضمن ما نهب وأحرق من الوزارات. استاء كارني للغاية من احتمال إدارة الوزارة المفتقرة إلى القوائم والسجلات، ناهيك عما أصاب مبناها من تخريب.

شعر وزراء مكتب إعادة الإعمار الآخرون بالقلق على حد سواء. تحلق عدد منهم حول شاشة التلفاز حين بدأت أعمال النهب، بحسب روبن رافل، وزير التجارة المؤقت، محاولين تخمين ما يقع تحت نطاق سلطتهم من الوزارات المنهوبة، قائلين: «ها هي ذي وزارتك!»، «ها هي ذي وزارتي!». كانوا يفترضون أن الجنود الأمريكيين في طريقهم للتدخل.

استحال إحباطهم غضباً بعد أن أدركوا عدم إيكال مهمة حماية وزاراتهم إلى أي من القوات، ناهيك عن عدم وجود خطط فورية للقيام بذلك. تمثل المبنى الحكومي

الوحيد الذي حرسته القوات الأمريكية في حينه، ما خلا القصر الجمهوري، في وزارة النفـط العراقية. كان وزراء المكتب قد وضعوا -قبل أسبوعين من الزمن- لائحة بما يتطلب الحماية من مواقع في بغداد، ليتصدرها البنك المركزي، فالمتحف الوطني. احتلـت وزارة النفـط موقعاً متأخراً في اللائحة. اكتشـف موظفو المكتب، بعد مضي أسابيع، أن الجيش قد فشل في نقل اللائحة إلى قادة القوات البرية في بغداد.

عجـز المكتـب عن دفع الجيشـ إلى التدخـل، وإن اتضح الأثر الناتـج عن أعمال النهـب. بادرت باربارا بودين -الدبلوماسية المحنكـة التي تتقن العربية، التي شغلت فيما بعد منصب محافظ بغداد المؤقت- إلى الاتصال بالقيادة المركزية الأمريكية، حين أبلغها أحد المصادر العراقية أن الناهبين كانوا على وشك السطو على قبو أسفل البنـك المركزي، يحتوي على مـا لا يقدر بثمن من الذهب الآشوري. مضى الاتصال، بحسب بودين، وأحد مسؤولي وزارة الخارجية المطلعين، على النحو الآتي:

بوديـن: «يتعرض القبو الآشوري، أسفل البنك المركـزي، إلى خطر داهم، يتمثل في إمكانية نهبه. يتعين علينا العمل على هذه المسألة».

القيادة المركزية: «ما الذي يحويه القبو الآشوري؟».

بودين (مندهشة من سخافة السؤال): «كنوز آشورية».

القيادة المركزية: «ما طبيعة تلك الكنوز؟».

بوديـن: «اقرأ الفصـول الأولى من إنجيلـك. هي كنوز أثرية قيمـة للغاية. يتعين علينا حمايتها».

القيادة المركزية: «حسناً. سنرى ما يمكننا عمله».

لـم يقدم الجيش أياً من الاعتذارات. لم توفر خطة رمسفيلد الحربية قوات كافية لحماية المؤسسات الحكومية في بغداد، وغيرها من المدن الكبرى. استعان رمسفيلد، حين سئل عن أعمال النهب، بالعبارة الشهيرة: «فوضى الحرية».

رفضت القوات الأمريكية، بالنظر إلى ما عمَّ بغداد من فوضى وأعمال نهب، السماح لغارنر وفريقه بالانتقال إلى العاصمة العراقية على الفور. اتجه غارنر، بعد مضي ثمانية أيام على سقوط بغداد، ورفض الجيش تغيير موقفه، إلى قطر لمقابلة الجنرال تومي فرانكس، القائد العسكري الأعلى في المنطقة.

خاطب غارنر فرانكس، بحسب الأول، قائلاً: «تومي، يتعين عليك السماح لفريقي بالتوجه إلى بغداد». عقب فرانكس قائلاً: «لن أفعل يا جاي. لا يزالون يقتلون الناس هناك. لن أرسلك إلى هناك».

جادل غارنر على أن الانتهازيين من العراقيين يطالبون بقيادة حكومة بغداد المحلية وقوات الشرطة، قائلاً: «سيشغل فراغ السلطة من لن نرتضيهم من الأشخاص، وسنستلزم كثيراً من الوقت للتخلص منهم». تراجع فرانكس، في نهاية المطاف، وسمح لغارنر بالتوجه إلى بغداد في الحادي والعشرين من نيسان/ أبريل 2003، بعد مضي اثني عشر يوماً على سيطرة القوات الأمريكية على المدينة.

قرر كارني، ووزراء المكتب الآخرين، مغادرة الكويت بعد مضي ثلاثة أيام. شغل أحد الجنرالات الطائرة التي كانت ستقلهم، مما اضطرهم للانتظار ثلاث ساعات في مطار الكويت. اكتشف أعضاء الفريق - ما إن وصلوا مطار بغداد الدولي - مغادرة الموكب المرسل لاستقبالهم، مما اضطرهم للانتظار على حد سواء.

بدا القصر الجمهوري خيمةً من رخام، حين بلغوه أخيراً، مفتقراً إلى الأضواء، والنوافذ، وما يصلح للاستخدام من المغاسل والمراحيض. منح أعضاء الفريق أكياساً للنوم في الكويت، دون أن يشمل ذلك الكلات (الناموسيات)، أو غيرها من معدات التخييم المخصصة للجنود. لم يحصل موظفو المكتب، علاوة على ذلك، على ما وعدهم به خبراء الاتصالات العسكرية من هواتف فضائية. انتاب القلق كارني إلى حد كبير، بالنظر إلى افتقاره إلى ما طلبه من وثائق في الكويت، ناهيك عن مستلزمات الحياة الضرورية في بغداد.

لم تكـن الخطة متمثلة، على الإطلاق، في الانتقال إلـى القصر الجمهوري. رغب المدنيـون، من موظفي المكتـب، في شغل أحد فنادق بغداد؛ كيـلا يعدّهم العراقيون محتليـن إن أقاموا في القصر. عارض العسكريون ذلك الخيار، مجادلين على افتقار الفنـدق إلـى الحماية الكافيـة من السيـارات المفخخة ونيـران الأسلحـة الخفيفة، مقترحيـن اللجوء إلـى إحدى قواعد الجيش العراقي الواقعة فـي ضواحي المدينة، ليرفض المدنيون بدورهم، متعللين ببعد القاعدة عما يتعين عليهم زيارته من وزارات يوميـاً. اتفق موظفو المكتب على اللجوء إلى القصر، في نهاية المطاف، مع غياب ما يعد مناسباً من الخيارات الأخرى.

أوكلـت مهمة اختيار القصر المناسب إلى الرائـد بيتر فيل، الضابط، والمهندس المعماري، في قوات الاحتياط. اتجه بيتر، أثناء الأسبوع الأول من الحرب، إلى إحدى الفيلات التابعة لفندق الهيلتون في الكويت، حيث كان يقيم فريق المكتب الاستخباري، سائـلاً أعضاءه عن المعلومـات المتوافرة لديهم عما لم يصبـه القصف من قصور بغـداد كافـة. لجأ بيتر إلى الإنترنت، حين أخبروه بعـدم قدرتهم على تلبية طلبه قبل مضـي بضعة أيام. حصل الرجل عند زيارته موقع «ديجيتـال غلوب» الإلكتروني على صـور قصر مهيب، ذي قبة زرقاء؛ القصر الجمهوري، ليبدو مناسباً للغاية في نظره. لـم ينـدرج القصر الجمهوري، بكل الأحـوال، ضمن القائمة التـي تلقاها من أعضاء الفريق الاستخباري فيمـا بعد. مضى بيتر إليهم مجدداً، متسلحاً بما يملكه من صور استقاهـا مـن الموقع، قبل إطلاعهـم عليها. اتصل بـه أحدهم، في اليـوم اللاحق، قائلاً: «أحمل إليك أخباراً جيدة يا حضرة الرائد. هذا القصر موجود بالفعل، ولكنه تعرض للقصف في الليلـة الأولى لحملة «الصدمة والرعب»، وقد دمر إلى حد كبير». ارتاب الرجل من الأمر. كانت الصور التي يملكها للقصر حديثة، التقطت في الأسبوع المنصـرم. أصر فريق الاستخبارات -بكل الأحوال- على موقفه. خاطبه أحد محللي الفريق، قائلا: «ثق بتقويمنا. لقد دمر ذلك القصر، وغيره، إلى حد كبير».

وقع اختيار بيتر -ومن ثَمّ- على قصر السجود، المبنى الصغير المحاذي للقصر الجمهـوري. أمضـى الرجل أياماً في دراسـة القصر، معيناً أماكـن عمل الموظفين،

واصطفاف السيارات، وهبوط المروحيات. غادر بيتر الكويت، متوجهاً إلى بغداد، بعد بضعة أيام على سقوطها، بغية البدء في التحضيرات. فوجئ الرجل بقصر السجود مدمراً، جراء تعرضه للقصف بصواريخ الكروز. تملكت بيتر الحيرة -بالتالي- مما يتعين عليه القيام به.

توقف عدد من جنود القوات الخاصة لمحادثته، بينما كان جالساً خارج القصر. سرد الرجل قصته على مسامعهم، ليشجعه أحدهم على مواصلة البحث، قائلاً: «يتعين عليك متابعة الطريق نزولاً، حيث يوجد قصر لم يصبه القصف مطلقاً». اكتشف بيتر، حين عمل بنصيحة الجندي، أنه القصر ذاته الذي شاهده في الموقع الإلكتروني.

عمل بيتر جاهداً، استباقاً لوصول غارنر في أقل من أسبوع، على توفير الإضاءة والمياه في القصر. كانت الطائرات الأمريكية قد قصفت المبنى الخارجي الحاوي على وحدات تكييف الهواء وتوليد الطاقة. اتسمت مهمة توفير المياه بالصعوبة، بالنظر إلى افتقار بيتر إلى أي من المخططات الدالة على مواقع الأنابيب. انتاب الخوف الرجل، بينما كان يبحث في القبو المتفرع عن أماكن التمديدات المائية والكهربائية، على ضوء الاحتمال القائم بتفخيخه بالمتفجرات.

رافق أحد عملاء السي آي أيه بيتر في مهمته الاستطلاعية، باحثاً عما يحتمل وجوده من أسلحة للدمار الشامل. تمثل كل ما صادفاه في عدد من الناهبين المتمرسين، وجنديين بحال يرثى لهما من الحرس الجمهوري، ممن فشلوا في الهرب من القصر. تناهى إلى أسماع بيتر، فيما بعد، إشاعة مفادها أن أحد نمور عديٍّ قد هرب من قفصه، واختبأ في القصر. تخوف الرجل -بعد ذلك- من مواجهة النمر، بما يفوق أياً من مقاتلي النظام السابق، مما دفعه إلى التنقل في أنحاء القصر ليلاً، متزوداً بمصباح كاشف، وقطعة من السلاح.

اعتاد تيم كارني صيد الفيلة، والجواميس، والزرافات، والخنازير البرية، ونوعين من حمار الوحش. امتلك الرجل بندقية خاصة لذلك الغرض - يعادل قطر طلقاتها نصف البوصة، وتقارب في حجمها أكبر ما يستخدمه الجيش الأمريكي من بنادق

- وقد كان يتناول ما يصيد بواسطتها. لم يضاهِ التفرد، فيما اعتاد كارني صيده من حيوانات، سوى ما عمل به من مناطق كدبلوماسي: سايغون إبان هجوم التيت، فنوم بنه مع سقوطها في يد الخمير الحمر، مقديشو في خضم الحرب الأهلية، وبورت أو برنس حين نزلت قوات المارينز على شواطئها.

كان كارني طويل القامة، لبق الحديث، مهذباً إلى أبعد الحدود. لم تعوز الرجل الصراحة والبصيرة، بكل الأحوال، عند تناول إخفاقات السياسة الخارجية الأمريكية (استندت شخصية الدبلوماسي الأمريكي الثرثار في فيلم «ذا كيللينغ فيلدز»، التي أداها سبولدنغ غراي، إلى كارني بصورة كبيرة). امتلك كارني من الخبرة، فيما يتعلق بالمناطق المعادية، مع تقاعده في العام 2000، ما يفوق أياً من موظفي وزارة الخارجية الآخرين على وجه التقريب.

اتصل بول وولفويتز بكارني قبل تسعة أيام من بدء القصف على بغداد. امتدت علاقة الرجلين منذ نهاية الثمانينيات، حين عمل وولفويتز سفيراً في إندونيسيا، ومثل كارني أبرز موظفيه. لم تتسم المكالمة بينهما بالطول، مفتقرة إلى ما يستحضرانه في العادة من الذكريات. طالب وولفويتز كارني بالانضمام إلى الفريق المسؤول عن إعادة الإعمار والحكم في مرحلة ما بعد الحرب، ليوافق الأخير، المتعطش إلى المغامرة على الدوام.

عبّر وولفويتز عن انزعاجه، قبل إنهاء المكالمة، من إقحام موظفي وزارة الخارجية في الفريق، بالنظر إلى تشكيك العديد منهم، ممن عملوا في الشرق الأوسط لأوقات طويلة، بحسب وولفويتز وغيره من المحافظين الجدد، في تحول العراق إلى دولة ديموقراطية. لم ينتمِ كارني إلى المحافظين الجدد، ولكنه صنف سياسته ضمن «يمين الوسط»، عوضاً عن يسار الوسط الذي ينتمي إليه العديد من العاملين في السلك الدبلوماسي الأمريكي. طالب وولفويتز كارني بتوصيف الأمور كما يراها، وقد أخذ الأخير ذلك على محمل الجد - بما لم يكن وولفويتز يرغبه حقيقة.

اكتشف كارني -في أول أيام عمله في بغداد- أن الجيش لم يوفر ما يكفي من الجنود لمكتب إعادة الإعمار، بحيث لم يتمكن أكثر من موظفين أو ثلاثة من مغادرة

القصـر في المرة الواحدة. اتفق كارني وزملاؤه من المستشارين الوزاريين على منح الأولويـة القصوى لفريق وزارة الخزانة الأمريكية، الـذي رغب في التوجه إلى البنك المركـزي في مهمة استطلاعية. احتل الأخير صـدارة اللائحة التي وضعها المكتب، وأهملت من قبل الجيش، بما يتعين حمايته من أماكن.

التقـى موظفو المكتب البارزون فـي اجتماع صباحي، بينما هَـمَّ ثلاثة من خبراء وزارة الخزانـة بالمغادرة، مرتدين ستراتهم وخوذهم الواقية. عاد الثلاثة، بعد عشر دقائق، ليمضـوا إلى كارني، ويسألوه إعارتهم خريطة بغـداد السياحية، التي كان قد ابتاعهـا من مكتب سفريات في واشنطن قبل مغادرته. تحدث أحدهم قائلاً: «لا يعلم الجيش، على حد سـواء، موقع البنك المركزي». مثلت الخريطة، لبضعة أيام لاحقة، وسيلة موظفي المكتب الوحيدة لتعيين المباني الحكومية في العاصمة.

اكتشف موظفو وزارة الخزانة احتراق البنك بالكامل، حين بلغوه أخيراً. لم يعرف أحد ما حَلَّ بالكنوز الآشورية الموجودة في قبوه.

حَـلَّ دور كارني، في اليوم الثاني، لزيارة وزارة الصناعة. غادر كارني إلى الوزارة برفقة روبن رافل، مستشار وزارة التجارة. لم يبعد المبنى، الواقع في الجهة المقابلة مـن نهـر دجلة، أكثر مـن نصف ميل عن القصـر، ولكنهما أمضيا مـا يقارب نصف الساعـة لبلوغـه. عمـت الفوضى شوارع بغـداد مع غيـاب رجال الشرطـة، وانقطاع الكهربـاء المستخدمـة في تشغيـل إشارات المـرور. توصل كارني ورافـل، مع انتهاء اليوم، إلى الاستنتاجين الآتيين: إسهام أعمال النهب في تدمير البنية التحتية للعراق بمـا يفوق حملة القصف، وشيوع مناخ من انعدام المحاسبة جراء الفشل في استعادة النظـام. بـدأ الأوغاد من الناهبين فـي سرقة المواطنين، بعدما أتـوا على محتويات المباني الحكومية كافة. عمد العراقيون، علاوة على ذلك، إلى سرقة الكهرباء - بعد إعـادة توفيرهـا بما لا يتجاوز بضـع الساعات يومياً - كي لا يضطـروا إلى تسديد ما يمكـن أن يترتب عليهـم من فواتير. بـات سائقي طالب الحقوق الـذي لم يكن يجرؤ علـى خرق قواعد السير قبل الحرب، يقود في الاتجاه المعاكس من الطريق في بعض الأحيـان، تجنباً للازدحام. عقّب مبتسماً، حين أبديـت استغرابي من سلوكه، قائلاً: «سيد راجيف، كم هي رائعة الديموقراطية. يمكننا فعل ما نشاء الآن».

وجـد كارني ما توقع، إلى حد كبير، عند بلوغه موقع وزارة الصناعة: دماراً هائلاً. طالـب الرجل عدداً من موظفي الـوزارة المتجمعين في موقف السيـارات بالعودة مع رؤسائهم في اليوم الثاني، وهو ما حصل بالفعل. تمثل أول ما قاموا به في إيجاد مكان بديل عن موقف السيارات للاجتماع. لم يختلف الحاضرون في تعرض معظم مؤسسات الـوزارة الأخرى في بغداد للنهـب، قبل أن يذكر أحدهم شركـة البطاريات، التي نجا مصنعهـا، الواقع في منطقة هادئة من شمال بغـداد، من النهب، ناهيك عن المكاتب المحاذية له. ضحك مسؤولو الوزارة، حين سألهم الأمريكيون عن السبب الكامن وراء نجاة المصنع، قائلين: إن بطارياته كانت رديئة للغاية، بحيث رغب الناهبون عنها.

لـم تعمل معظـم الهواتف في بغـداد أثناء تلـك الأسابيع الفوضويـة التي أعقبت الحرب. قصـف الأمريكيون بـدالات (المقاسم) الهاتف الرئيسـة، ناهيك عن مقر شركة الاتصـالات، بالكثير من الصواريخ الموجهة، مما أوقع بها دماراً كبيراً. افتقر معظم موظفـي مكتب إعادة الإعمـار والمساعدات الإنسانية إلـى الهواتف المتصلة مباشـرة بالأقمـار الصناعية -ناهيك عـن خدمة الإنترنت في حينـه- مما عقد من مهمة التواصل مع زملائهم (أو عوائلهم في أمريكة). اضطر كارني -بعد ذلك- إلى دس ملاحظاته المكتوبة أسفل أبواب مكاتب زملائه.

لـم يمثـل الافتقار إلـى التقنيـة الحديثة، بين صفـوف العراقييـن، ذلك الخطب الجلـل. كانوا قد اعتـادوا الأمر، في الأشهر التي تلت حـرب الخليج في العام 1991، حيـن تعرضت بغداد لكثير من التدمير جراء قصف قوات التحالف. عمد العراقيون، ببساطـة، إلـى تناقـل الرسائل شفهيـاً، وقد نجحوا فـي ذلك. تجمـع معظم مديري الـوزارة في مصنع البطاريات، في غضون ثلاثة أيـام، علاوة على الموظفين، الذين رفعوا شعارات تطالب باستبعاد الحرس القديم.

كنـت في طريقـي إلى موعد آخـر حيـن رأيت المظاهرة خـارج المصنع. التقيت -بينما كنت متجها صوب البوابة الأمامية- بشاب أنيق، في الثلاثين من العمر، يعمل تقنيـاً مخبرياً، يدعى محمد صبـاح، يحمل لافتة من القماش، تحـوي العبارة الآتية: «نطالـب بإدارة جديدة تستبعد أزلام النظام السابق». تحدث محمد، الذي كان يعمل

في شركة «ذات الصواري للصناعات الكيميائية»، إحدى الشركات الثماني والأربعين المملوكة من قبل الوزارة، قائلاً: إنه كان يحتج، مع سبعين من زملائه، على إعادة تعيين مدير الشركة، الفاسد، بحسب محمد، المرتبط حتى النخاع بحزب البعث التابع لصدام. هتف محمد، وسط تصفيق زملائه المتحمسين، قائلاً: «نريد مديراً نزيهاً، مستقلاً، غير بعثي، يعمل لصالح موظفيه».

لم يكن الجو بأقل توتراً داخل المصنع. تجمع العشرات من مسؤولي الوزارة البارزين أمام مكتب المدير، قائلين: إنه تعرض للاستيلاء من قبل أحمد رشيد غيلاني، معاون وزير الصناعة البعثي إبان حكم صدام. عمد الرجل، بدعم واضح من عدد من مديري المصنع، إلى تنصيب نفسه وزيراً جديداً. كان غيلاني يجتمع في تلك اللحظة، بحسب المتجمهرين، بزائره الرسمي الأول: رجل أمريكي طويل القامة، يعتمر قبعة من القش، يدعى السيد كارني.

علم المتجمعون خارج مكتب المدير بأن كارني يمثل السيد الجديد، بالرغم من حرصه على تقديم نفسه «كبيراً للمستشارين» في الوزارة. كان قد وصلها برفقة جنود مدججين بالسلاح، حاملاً حقيبة جلدية. أظهر الرجل ما لا ينم عن استعداده للتساهل مع أيٍّ من التصرفات المسفة.

تساءل المتجمهرون عما إذا كان كارني سيسمح لغيلاني بتولي منصب الوزير، ناهيك عن تلبية مطالب المحتجين. تمثل سؤالهم الأهم، بكل الأحوال، في كيفية تعامل كارني مع أشخاص ارتبطوا بحزب البعث في السابق. هل سيتم استبعادهم بصورة تلقائية كما رغب المحتجون، أو أن الأمريكيين سيتغاضون عن ذلك؟

عرّف رجل قصير القامة، ممتلئ الجسد، ويرتدي بزة سفاري زيتونية اللون، عن نفسه، قائلاً: إنه يدعى جبار كاظم، ويبلغ من العمر ثمانية وعشرين عاماً، ويعمل في الوزارة منذ وقت طويل. تولى الرجل إدارة القسم التقني، المسؤول عن إصلاح معدات المصانع المدارة من قبل الدولة. أقر جبار، علاوة على ذلك، بانتمائه إلى حزب البعث.

فاجأني الرجل حقيقة بصراحته (أنكر معظم العراقيين الذين التقيتهم، حتى ذلك الحين، أي ارتباط لهم بالحزب). سألته عما إذا كان ذلك سيحرمه من الخدمة في مواقع الوزارة البارزة، ليجيبني بانفعال قائلاً:

«لا يوجد أي من العراقيين خارج صفوف الحزب»، زاعماً وجود سبعة ملايين من أعضائه، وهو ما رأيت فيه مبالغة كبيرة، حيث تشير معظم التقديرات الموثوقة إلى أن عددهم الفعلي لا يتجاوز المليون أو الاثنين.

أردف جبار قائلاً: «يتمتع معظمهم بما هو متميز من المستويات التعليمية والتقنية. إن لم يكن المرء بعثياً في الماضي، فلن يكون بمقدوره اعتلاء درجات السلم الوظيفي».

لم يجانب الرجل الصواب فيما قاله. انتمى كثير من القتلة والمرتشين إلى الحزب، جنباً إلى جنب مع أفضل كفاءات العراق من علماء، ومهندسين، وغيرهم من المختصين. تعين على المرء الانضمام إلى حزب البعث بغية الانتساب إلى الجامعات، والحصول على الوظائف، واعتلاء السلم الوظيفي. كان من الممكن أن يرقى العراقي ضمن صفوف الحزب، إن برز في عمله، رغماً عن إرادته، وقد كان يتعين عليه القبول بذلك؛ كيلا ينتهي به المطاف إلى ترك الخدمة أو السجن.

تمكنت -بعد مرحلة قصيرة- من دخول مكتب المدير، حيث أعلن غيلاني توصله إلى قرار، بالاتفاق مع كارني، فيما يتعلق بشركة الصناعات الكيميائية. نال المحتجون ما أرادوه، وتم استبعاد المدير، ذي المكانة البارزة في حزب البعث، بعد أن وعدهم كارني باستصدار أمر من غارنر بذلك الشأن.

سألت غيلاني عن مدى ارتباطه بحزب البعث. لا بد أنه كان منتمياً إليه بالنظر إلى الوظيفة التي شغلها في السابق. أصر الرجل على أن مكانته الحزبية لم تكن بارزة على الإطلاق.

تحدث غيلاني قائلاً: «كنت أحضر اجتماعاً واحداً كل ثلاثة أشهر، متعللاً بانشغالي في الوزارة».

عجزت، في الحقيقة، عن تبيان مدى الصدق في حديثه.

تبعت كارني، حين غادر الغرفة، سائلاً عن كيفية تعامله مع مسألة الماضي الحزبي. أجابني قائلاً: بعدم وجود توجه محدد. كان الرجل، والمستشارون البارزون الآخرون، يعتمدون على أحكامهم فيما يتعلق بذلك الصدد. تحدث كارني قائلاً: «يعرف العراقيون جميعاً من كان مسيئاً للغاية، أو بعثياً حتى النخاع. يتحدد الموقف النهائي من قبل السلطة العراقية المستقبلية. سنعمل على استبعاد المتورطين في إنتاج وتطوير أسلحة الدمار الشامل، أو الإرهاب، أو خرق حقوق الإنسان، حالما نتبين أمرهم. سيخضع الآخرون بصورة أكبر لتمحيص العراقيين، لا قوات التحالف».

لم يسمع جبار ما أخبرني به كارني. تمثل كل ما علم به في استبعاد مدير شركة الصناعات الكيميائية. أوقفني - بينما كنت أهمُّ بمغادرة المبنى، قبل أن يرفع إصبعه بصورة تحذيرية - قائلاً: «إن عومل أعضاء الحزب بصورة طبيعية، ومنحوا حقوقهم، فسيختفي من الوجود، أو سيبرز ثانية إن لم يتحقق ذلك».

أضحى كارني، بالعودة إلى القصر، متشائماً بصورة متزايدة، حيث بدت الفوضى تحيط بمكتب إعادة الإعمار والمساعدات الإنسانية.

تجسد جزء من المشكلة في عدم اكتراث الجيش، كما بدت الحال عليه، بتقديم المساعدة الكافية للمكتب، الذي كان موظفوه المدنيون بحاجتها بما يفوق أياً من العسكريين. مثّل الاستحمام، على سبيل المثال - ناهيك عن خدمة تنظيف الملابس - أمراً ضرورياً في نظر كارني وغيره من الدبلوماسيين المتمرسين. تعين عليهم مقابلة موظفي الحكومة العراقية، الذين كانوا يتهندمون بالبزات وأربطة العنق، بالرغم من الحرمان الذي يعم بغداد ما بعد الحرب. لم تكن المياه متوافرة على الدوام في القصر، ناهيك عن إعادة الملابس التي تسلم إلى مصبغة الجيش بعد أسبوعين من الزمن، إن أعيدت في المقام الأول. عمل الجيش على إرسال الملابس إلى الكويت، عوضاً عن إيجاد مصبغة في بغداد، أو توظيف عراقيين لغسلها يدوياً. انعدمت، علاوة على ذلك، خدمة الهاتف الخلوي، التي كان الجيش قد وعد بتوفيرها أثناء أسابيع من التحرير، ناهيك عن الافتقار إلى الحواسيب. لم يكن الحال بأفضل فيما يتعلق بالمؤن الأساسية. لم تكن الأسِرَّة القماشية ذات الأطر المعدنية، التي

أحضرهـا الجيش إلى بغـداد، مخصصة للمدنييـن في المكتب. تمثـل أكثر ما أثار استيـاء كارني في الافتقار إلـى وسائل المواصلات. لم تخصص أكثر من عشر فرق مواكبـة من الشرطـة العسكرية لما يزيد عـن الأربعين من موظفـي المكتب، الذين كانوا بحاجة إلى مغادرة القصر يومياً.

رفض كارني البقاء منعزلاً في القصر، ضارباً بالتعليمات التي تنص على المغادرة فـي موكب مـن سيارتين، تحويان اثنين مـن المدافع الطويلة علـى أقل تقدير عرض الحائط. وضع الرجل مسدس بيريتا مستعاراً، من عيار 9 ملم، في قراب على وسطه، معتمـرا قبعته المصنوعة من القش، قبل مغادرة القصر بسيارة السوبربان التي كان يقودهـا بنفسـه. تبين كارني مـا يتبع من مسالك في بغداد، بعـد وقت قصير، بحيث توقف عن الاستعانة بالخرائط. اكتشف الرجل مطعماً لبنانياً عده الأفضل في بغداد، «النبيل»، ليتناول فيه الغداء بصورة دورية. لم تكن الكحول تقدم في قاعة الطعام في القصر، ليحتسي كارني أحد أنواعها، المستوردة من تركية، في المطعم.

بدا القصر يماثل معسكراً صيفياً للراشدين، حيث كانت الكلات تعلق فوق أكياس النوم. أضحت المصابيح الكاشفة وسكاكين الجيب مستلزمات ضرورية، وعُدّ الطعام الساخـن مـن الرفاهيات، بغض النظر عـن احتوائه على كثير مـن الدهون، أو طهيه بصورة مضاعفة، بالمقارنة مع وجبات الجيش الميدانية الرديئة.

مثّـل كارني الكشاف الأكثر حنكة بحـق، متزوداً بما لا تحويه القائمة الرسمية من مستلزمـات: علبة مسحـوق غسيل لتنظيـف ملابسه، وشاحن لهاتفـه الفضائي بغية استعماله أثناء القيادة، وعلبة مبيدات حشرية، وحاسوبه المحمول وطابعته.

اعتـاد كارنـي يوميـاً، قبل أن يخلـد إلى النوم، تدويـن بعض الأسطـر في مفكرة ابتاعهـا مـن الكويـت، بمـا لا يخلو مـن الابتذال: «ذهبـت إلى الـوزارة اليـوم لعقد بعضـ الاجتماعات، قبـل أن أغسل ملابسي». اعتاد الرجل تدويـن الأمور الشخصية والحساسة باللغة الخميرية، التي تعلمها في كمبوديا، واثقاً من عدم إلمام البقية بها. كتـب كارني العبارة الآتية، بعد وصولـه بغداد بمرحلة قصيرة، قائلاً: «أهي مشكلات مؤقتة يا ترى، أم أننا مقصرون بالمبدأ؟».

ازداد تقويم الرجل للأوضاع تشاؤماً مع مرور الأسابيع. كتب بذلك الصدد قائلاً: «لا يستطيع الجيش ومكتب وزير الدفاع الانتقال بالمهمة من الطور العسكري، إلى الطور السياسي - العسكري».

ما انفك كارني يستحضر الدروس المستقاة من تجاربه في كمبوديا، قائلاً: «يتعين عليك امتلاك خطة. يتعين عليك امتلاك الكثير من التمويل. يتعين عليك امتلاك طاقم جيد».

لم يفتقر مكتب إعادة الإعمار والمساعدات الإنسانية إلى دعم الجيش فحسب، بل التوجيه كذلك. لم تكن الخطة مكتملة في حينه، وقد كانت قاصرة، بكل الأحوال، عن توجيه كارني فيما يتعلق بالتعامل مع البعثيين في وزارته. لم يحظَ الرجل، بحلول تلك المرحلة، إلا بموظفين ضمن فريقه، من قوات الاحتياط في الجيش، لإدارة وزارة يفوق عدد موظفيها المئة ألف، ناهيك عن افتقاره إلى الميزانية الكافية. أدرك كارني أن المنظمة استندت إلى نظرية خاطئة في تأسيسها. لو لم تقع أعمال النهب، وتختفي قوات الشرطة، وتدمر البنية التحتية للبلاد جراء حكم صدام، فلربما أمكن لمنظمة تفتقر إلى الخطط، والتمويل، وما هو مناسب من الطواقم، كمكتب إعادة الإعمار، القيام بعملها بصورة مناسبة.

امتلك غارنر خطة، بينما كان المكتب يطور برنامج عمله، لمعالجة أكثر ما واجهه أهمية من المعضلات: مقدار ما يمنح من سلطة للعراقيين، وتوقيت تسليمهم إياها، تمثلت المشكلة في عدم المصادقة على الخطة من قبل البنتاغون، ووزارة الخارجية، والبيت الأبيض، بما يعد الأكثر أهمية.

رغب المنفيون من القادة السياسيين العراقيين في تشكيل حكومة انتقالية، تتسلم إدارة البلاد من الأمريكيين، وتقاد بواسطة مجلس مصغر يتألف من أبرز سياسيي المنفى: أحمد الجلبي وإياد علاوي، وإبراهيم الجعفري وعبد العزيز الحكيم، من الشيعة، والزعيمان الكرديان جلال الطالباني ومسعود البرزاني. بدت المجموعة ممثلة للمجتمع العراقي المتعدد في نظر غارنر. انتمى الجلبي وعلاوي، اللذان كانا

يكرهـان بعضهما، إلى العلمانيين، بينما مثل الجعفـري والحكيم التيار الأكثر تديناً. وعـدت المجموعة بإشراك شخصية عربية سنية واحدة، على أقل تقدير، ناهيك عن بعض من «عراقيي الداخل»، ممن لم يتعرضوا للنفي على الإطلاق.

اتسمـت الفكرة بالروعة في نظر غارنر. امتلكـت الحكومة الأمريكية خبرة طويلة فـي التعامـل مع القادة العراقيين المنفيين، بما يملكونـه من سجل حافل في مقارعة صـدام. مثّـل جميعهم فـي الحقيقة، باستثنـاء الجلبـي، شرائح واسعة مـن الشعب العراقـي، ناهيك عمـا أظهروه من استعـداد لتحمـل مسؤولية القيـادة، مما جعلهم الأفضل في نظر غارنر.

لـم يوجـه رمسفيلـد، وولفويتز، ودوغلاس فايث غارنـر عن كيفيـة إدارة عملية التحـول السياسي. افترض الأخير أنهم يفضلون اضطـلاع القادة المنفيين، لا سيما الجلبـي، بدور مهيمن في الحكومـة الانتقالية. تخوف ثلاثي البنتاغون، بكل الأحوال، مـن تدخل وزارة الخارجية، في حـال أمر غارنر بتسليم السلطـة إلى المنفيين، مما يمكـن أن يثيـر الجدل مجدداً ضمـن إدارة بوش. لم تكـن وزارة الخارجية ترغب في توليهـم المسؤوليـة، بالنظر إلى رأيهـا المتمثل في وجوب بقـاء السلطة بيد الولايات المتحـدة، عبر قائد عسكـري أو حاكم مدني، حتى تشكيل حكومـة من قبل مجموعة تمثيليـة من عراقيي الداخل، والمنفيين، على حـد سواء. لم ترتئي الخارجية، علاوة علـى ذلـك، إجراء انتخابـات فحسب، بل كتابـة دستور جديد، كما هـو محتمل، قبل تسليم الأمريكيين السلطـة. مثّل تشيني وفريقه داعماً قوياً للجلبي، ولكن بقية أركان البيـت الأبيض – كالرئيس بوش، ومستشارة الأمن القومي كوندوليزا رايس، على نحو خاصـ – كانوا يفتقرون إلـى رؤية واضحة في كيفيـة إدارة العملية الانتقالية. تخوف قـادة البنتاغون، فـي حال فرضوا آراءهم، مـن احتمال انتقاء بوش ورايس عناصر من خطة وزارة الخارجية، بينما أملوا أن يسهم امتناعهم عن إعطاء الأوامر لغارنر، وترك الأمور تسير بصورة طبيعية على الأرض، في تمكين القادة المنفيين، ببساطة، مـن تشكيل حكومـة انتقالية، وتفويـت الفرصة على وزارة الخارجيـة لتطبيق خطتها المتعلقة بعملية التحول السياسي.

تحدث غارنر، بذلك الصدد، قائلاً: «لم أعلم ماهية خططنا مطلقاً، ولكنني علمت أن ما كنت أعتقده يخالف تلك الخطط على الأرجح».

ارتأى غارنر، بحلول مغادرته الكويت إلى بغداد، ضرورة إجراء انتخابات أثناء تسعين يوماً. أثار الرجل حنق رؤسائه في البنتاغون، حين أطلع الصحفيين على وجهة نظره تلك، جراء تخوفهم من عدم سير نتائج الانتخابات كما يشتهي المنفيون. طور غارنر خطته، ما إن وصل العراق، والتقى الزعيمين الكرديين الطالباني والبرزاني، اللذين كانا يعرفانه منذ إدارته عمليات الإغاثة في شمال العراق، إثر حرب الخليج في العام 1991. لم يغير الرجل موقفه من إجراء الانتخابات، ولكنه منح الدعم لخطة المنفيين في تشكيل حكومة انتقالية. أثار ذلك سرور البنتاغون، ليغضب وزارة الخارجية. بادر كولن باول وريتشارد آرميتاج، بعد وقت قصير، إلى إبداء اعتراضاتهما على خطة غارنر أمام البيت الأبيض.

تعثرت جهود المنفيين، في بغداد، بعد وقت قصير، لتوسيع قاعدتهم عبر إشراك عراقيي الداخل. لم يتفق قادة المنفى فمِنْ يدعون من الشخصيات. أراد علاوي، في بادرة للمصالحة، إشراك أحد ضباط الجيش العراقي، أو أعضاء حكومة صدام. رأى الجلبي والقادة الدينيون الشيعة مخاطرة كبيرة في ذلك، بالنظر إلى رأي الأول المتمثل في أن ما يتعدى التوسيع البسيط لقاعدة المنفيين يمكن أن يضعف من قوتهم وسيطرته على الحكومة الوليدة.

عقد مكتب إعادة الإعمار مؤتمراً لمناقشة مستقبل البلاد، بحضور ما يقارب الثلاث مئة من الشخصيات العراقية، في مركز المؤتمرات، بغية إظهار مدى ما تتسم به العملية من تعددية، وتعيين ذوي الحظوظ من عراقيي الداخل. انقسم الحضور بين شيوخ قبليين بعباءاتهم المذهبة، ورجال ببزات رسمية، ناهيك عن بعض النسوة. تجمعوا في القاعة ذاتها التي أعلن فيها نائب صدام، قبل ستة أشهر، إعادة انتخاب الرئيس العراقي بنسبة 100% من الأصوات. بات العراقيون للمرة الأولى، منذ ما يزيد على ثلاثة العقود، أحراراً في التعبير عن آرائهم. دعا بعض الحاضرين إلى إجراء انتخابات في غضون أسابيع، بينما أكد آخرون على أهمية إسهام القادة الدينيين في

تشكيل الحكومة، ناهيك عمن رغب في منح الدور الأكبر لعشائر العراق. صَبَّ العديد من الحضور، ببساطة، جام غضبهم على صدام وممارسات أعوانه (كان الاجتماع قد عقد يوم عيد ميلاد صدام، في مفارقة ما غابت عن عدد من المؤتمرين).

لم يرغب معظم عراقيي الداخل، كما تبين بوضوح أثناء سير الاجتماع، في تولي المنفيين المسؤولية. توافق الحضور بصورة أو بأخرى، مع ذلك، مع كيفية تشكيل الحكومة. دار الحديث من عقد اجتماع آخر، في غضون شهر، للتباحث في تأليف حكومة انتقالية. لم تخفَ حاجة العراقيين، بكل الأحوال، لمن يقوم بتوجيههم. جلس غارنر في المقدمة برفقة زلماي خليل زاد، المسؤول في البيت الأبيض عن التعامل مع عراقيي المنفى. لم يتحدث الرجلان كثيراً، باستثناء ما افتتحا به المؤتمر من خطب اعتيادية، ناهيك عن إنصاتهما ببرود لما نقله المترجمون من أقوال العراقيين. نهض أحد الشيوخ، في نهاية المطاف، ليسأل غارنر عمن سيتولى المسؤولية عن تشكيل الحكومة.

أجابه غارنر قائلاً: «أنتم المسؤولون عن ذلك!».

ذهل الحاضرون لهول المفاجأة، متسائلين عن كيفية نأي الأمريكيين بأنفسهم عن مثل تلك المسألة المهمة.

لم يتمثل ما كان غارنر يعنيه حقيقة، وعجز عن قوله في حينه، في تولي العراقيين المسؤولية، بل في تخليه عنها منذ ذلك الحين.

أدرك البيت الأبيض، أخيراً، غياب خطة عن عملية التحول السياسي. انتاب القلق رايس جراء رغبة غارنر في إجراء انتخابات أثناء تسعين يوماً. بدأ البيت الأبيض، علاوة على ذلك، في التعاطي مع تحفظات وزارة الخارجية في منح المنفيين المسؤولية. تمثلت الخطة بعموميتها في اختيار «رجل ذي مكانة» لتولي السلطة في بغداد، ولكن ما الذي كان دوره يتمحور حوله؟، هل سيكون سفيراً يدعم حكومة انتقالية بقيادة المنفيين؟، أو حاكماً يدير البلاد حتى تفرز الانتخابات، أو أي عملية ديموقراطية أخرى، من يمثل الشعب من القادة؟

تباحث بوش، وتشيني، ورايس، ورمسفيلد بعمق في الأسماء المطروحة. مثل رودولف جولياني عمدة نيويورك السابق، وبطل أحداث الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر، أحد تلك الأسماء، ولكنه استنزف في التعاطي مع آثارها الكارثية على مدينته، ناهيك عن انشغاله بالعمل في شركته الاستشارية التي افتتحها لتوّه. ورد اسما حاكم ماساشوسيتس السابق ويليام ويلد، والسيناتور السابق ويليام كوهين، على اللائحة غير الرسمية، ولكن البنتاغون ومكتب نائب الرئيس عبّرا عن قلقهما من عدم قدرة الرجلين، الجمهوريين المعتدلين، على تمثيل «الجمهوريين المناسبين» لتلك المهمة. هل سيدعمان خطط المحافظين الجدد المتعلقة بعملية التحول السياسي والاقتصادي في العراق؟. رفضت أسماء عدد من رجالات الدولة المخضرمين، كوزير الخارجية السابق جيمس بيكر، وزعيم الأغلبية السابق في مجلس الشيوخ بوب دول، بالنظر إلى تقدمهم في السن. احتوت اللائحة كذلك على عدد من المديرين المهرة والجمهوريين المخلصين، وإن لم يتمتعوا بالشهرة على نطاق واسع.

مثّل بول بريمر أحدهم، بعد أن اقترح مكتب تشيني اسمه. كان بريمر، الملقب «بجيري» من قبل أصدقائه، دبلوماسياً متمرساً، يرتبط بعلاقات قوية مع مؤسسة السياسة الخارجية الجمهورية. سبق له العمل عن كثب في الحكومة مع وزيرين سابقين للخارجية، هنري كيسنجر وأليكساندر هيغ، ناهيك عن العمل سفيراً لدى هولندة، ومديراً لمكتب مكافحة الإرهاب في وزارة الخارجية. شغل الرجل مناصب في شركة كيسنجر الاستشارية وإحدى شركات التأمين، بعد مغادرته الحكومة في أواخر الثمانينيات، ليبقى في أجواء واشنطن مع ذلك. ترأس، في العام 2000، إحدى اللجان المعينة من قبل الكونغرس لمكافحة الإرهاب، التي أصدرت سلسلة من التوصيات المهمة. تمت تسميته، بعد هجمات الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر، لعضوية لجنة رئاسية للأمن الداخلي. أدمن بريمر، البالغ من العمر واحداً وستين عاماً، العمل، وحظي بسمعة المتمكن، القادر على تولي المسؤولية - ليمثل الرجل المطلوب من قبل البيت الأبيض في العراق.

اتصل رمسفيلد بغارنر، عشية المؤتمر سابق الذكر، ليبلغه باختيار بريمر، من قبل الرئيس، لترؤس منظمة جديدة تحل محل مكتب إعادة الإعمار والمساعدات

الإنسانيــة: «سلطــة الائتلاف المؤقتة». لم يطلع غارنر أحــداً على الأمر، مدة أسبوع؛ كيــلا يبدو كبطة عرجاء، ليضطر إلى إعلام بقية أعضاء المكتب برحيله، حين بدأت الأخبــار تتسرب فــي واشنطن، بعد مضي أقل من شهر علــى وجوده في العراق. حذر الرجل أعضاء المكتب، علاوة على ذلك، من استبدال عناصر من فريق بريمر الجديد ببعضــ منهم. أخبر غارنر ثلاثة مــن معاونيه، على أقل تقدير، في لقاءات خاصة في الأيــام اللاحقة أنه يعتقــد بفشله في المهمة. لم يعقب أي منهــم، بقوة، بغير العبارة الآتية، قائلاً: «لا ذنب لك في ذلك يا جاي. لم ترسل، منذ البدء، إلا لتفشل».

المنطقة الخضراء، المشهد الثاني

منع قرار الجنرال الأول الموظفين العسكريين من شرب الكحول في العراق، ولكن ذلك لم ينطبق على موظفي سلطة الائتلاف المؤقتة.

أضحى الشرب سريعاً العادة الأكثر شعبية بعد انتهاء الدوام. احتوت المنطقة الخضراء على ما لا يقل عن سبعة أماكن لتناول الكحول: الحانة المدارة من قبل هاليبرتون في قبو فندق الرشيد، الحاوية على شاشة تلفزيونية عملاقة، وطاولة للعبة «الفيشة». بار السي آي أيه -للمدعوين فقط- الحاوي على صالة للديسكو ذات كرة زجاجية عاكسة، وأخرى للألعاب. حانة مجمع إقامة البريطانيين، حيث تقدم الجعة دافئة، وتستهزئ التعليقات المكتوبة على الجدران بالأمريكيين. البار فوق السطح المخصص لمتعهدي شركة جنرال الكتريك. الحانة المقطورة المدارة من قبل شركة بيكتل الهندسية. مقهى المنطقة الخضراء، حيث يمكنك تدخين النرجيلة، والاستماع إلى الإيقاعات العربية الحية بينما تتناول الكحول، وديسكو فندق الرشيد الذي كان يقصد في أمسيات الخميس، حيث تطالب اللوحة المعلقة على الباب الزبائن بعدم إدخال أسلحتهم، ويرقص موظفو سلطة الائتلاف، بمن فيهم نسوة يرتدين سراويل مثيرة وكعوب عالية، فوق نجمة مضاءة لحزب البعث، مثبتة على الأرضية.

كان الجو مشبعاً بالعوز الجنسي إلى حد بعيد. مثّلت نسبة الرجال إلى النساء، في العادة، العشرة إلى الواحد في الحانة. بدأ بعض المتزوجين من الجنود - من ذوي أوقات الخدمة الممتدة إلى ستة أشهر، في بعض الأحيان، بلا إجازات - في الإشارة إلى أنفسهم «كعازبين في حالة الجاهزية».

فعل الرجال ما بوسعهم للفت انتباه الفتيات. عمد الجنود وموظفو سلطة الائتلاف المؤقتة، قبل التوجه إلى صالة الديسكو، إلى تغيير بزاتهم وأزيائهم الوظيفية. اعتاد المنتمون إلى تكساس ارتداء القبعات وسراويل الجينز، بينما عمل الآخرون على ارتداء القمصان، أو الملابس الفضفاضة التي يرتديها مغنو «الهيب هوب»، مع إضافة ما أمكنهم إيجاده من «إكسسوارات» في سوق المنطقة الخضراء.

لـم تخلُ بغـداد من المومسات، ولكن لـم يكن بمقدور المرء التوجـه إلى المدينة لمعاشرتهـن كما كان الحـال عليه في سايغون. سرت الإشاعـات بوجود بيت للدعارة فـي المنطقة الخضراء، ولكن موظفي سلطـة الائتلاف قالوا: إنه يستقبل العسكريين فقط. لم يعرف غير الجنود موقعه، ولم يعتادوا التحدث بشأنه.

كتبت إحدى موظفات سلطة الائتلاف المؤقتة، في رسالة إلكترونية إلى أصدقائها في الديار، قائلة:

«يتـوق الرجال إلى الفوز بالخليلات، بالنظـر إلى قلة عدد النساء، كي يتمتعوا بصحبتهـن. ينـزع النساء، بالمقابـل، إلى رفض صحبـة أيٍّ كان، بالنظر إلى مـا يتوافـر لديهن من خيـارات. يتمتع بعض النسوة بوضوح بمـا يثار حولهن مـن اهتمام، بينما تـراه أخريات مبتذلاً (ناهيك عـن افتقارهن إلى الإطراء، بالنظـر إلـى استناد الاهتمام إلى قلـة عدد النساء، بما يفـوق أياً من العوامل الأخرى). لا يخلو الأمر من التسلية بكل الأحوال».

تندر الرجال في تلك المسألة على حد سواء. زعموا أنهم يعرفون شخصا، يعرف أحـد الأشخاص المتوجهيـن إلى الكويـت على متن طائـرة للقوات الجويـة الملكية البريطانيـة، حيـث أعلن الطيار قائـلاً: «سيداتي وسادتـي، أود إعلامكم بأننا نغادر الأجواء العراقية. سيداتي، لم تعدن جميلات الآن».

لقيـت أكثر النسوة جاذبية ما يثير الحرج من الاهتمام. ابتسم أحد الرجال، حين قدمـت إحـدى الموظفات الفاتنـات نفسها إليـه، قائلاً: «أعرف مـن تكونين. يعرف الجميع من يكن الجميلات هنا».

لو تبسم الحـظ للموظفين عبر الانخراط في علاقة عاطفية، فلم يكن من السهل إيجـاد مـكان لممارستها. حظي بعضهم، مـن قاطني المقطـورات أو فندق الرشيد، بشريـك واحد في السكن، علـى أقل تقدير، بينما كان العدد يبلـغ المئتين في كنيسة القصـر. اعتـاد العشاق التوجه إلى أماكن منعزلة من المنطقـة الخضراء، آملين ألا يفتضح أمرهم من قبل إحدى الدوريات العسكرية. زعم بعض الجنود أن المراحيض المتنقلة تمثل أكثر الأماكن أمناً، وإن كانت أقلها شاعرية.